إمارة عبد الله بن وهب على المحكمة .

لم ييأس **علي بن أبي طالب** ﷺ من هؤلاء الذين تمردوا وخرجوا عليه ، بل كان يعظهم أحياناً بمخاطبتهم في المسجد وفي حين آخر كان يكتب إليهم رسائل يحاول فيها تبرئة موقفه من أنه قد خدع في الحكمين وأنه على الأمر الأول ، فكتب إليهم قائلا : " من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى **زيد بن حصين وعبد الله بن وهب** ومن معهما من الناس ، أما بعد : فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيناهما حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا القرآن حكماً لبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام. " (٢١)

فردوا عليه برسالة فيها تبجح ورمياً للإمام علي ﷺ بالكفر واتهامات وجهوها إليه قائلين :-" أما بعد : فإنك لم تغضب لربك غضبت لنفسك فإن شهدت لنفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نبذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين .(٢٢)

ولم يكتفوا بذلك بل جمعوا أنفسهم في بيت أبي وهب فخاطبهم بكلمات حماسية تحرضهم على نبذ علي ﷺ ومحاربته والالتفات حوله حيث قال:- " الحمد لله ، أما بعد : فوا الله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن منيبين إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي الرضا بها والركون إليها والإيثار إياها عناء وتبار آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن

(٢١) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ج٣ ١٧١.
(٢٢) المرجع السابق ج٣ص١٧١.

المنكر والقول بالحق ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلـــها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعـــض المدائـــن منكريـــن لـــهذه البـــدع المضلة.(٢٣)

وقد التف من التف حول **عبد الله بن وهب الراســـبي** فجمعـــوا أنفســـهم وحاولوا تعضيد هذا الجمع بآخرين من الأمصار الأخرى فكـــانت هنـــاك مكاتبات بين ابن وهب وبعض الأمصار ، فكتب إلى أهل البصرة يعلمـــهم بهذا الجمع الذين التفوا حوله حيث قال :-

" إن أهل دعوتنا حكموا الرجال في أمر الله ورضوا بحكم الفاسقين علـــى عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة إلى الله ، وقد قعدنا بجســـر النهروان وأحببنا إعلامكم لتأخذوا بنصيبكم من الأجر "

وقد أجابوهم : " بلغنا كتابكم وفهمنا ما ذكرته ، وقد وهبنا لكم الرأي الذي جمعكم الله عليه من الطاعة وإخلاص الحكم لله وإعمالكم أنفســـكم فيمـــا يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير إليكم عاجلا . " (٢٤)

ويعتبر عبد الله بن وهب من أئمة الإباضية حيث إنه أول من خطب فيـــهم فالتفوا حوله ، ولم يرضوا بحكم الحكمين ، وســـموا أنفســـهم بالمحكمـــة فكانوا يقولون لا حكم إلا لله ، **قال عمار طالبي :-**

" عبد الله بن وهب الراسبي من الأزر ومن أئمة الإباضية . " (٢٥)

فهو يعد بعد زعيم هذه الجماعة الإباضية رغم أن هذا المسمى لم يطلـــق عليهم إلا مؤخرا بعد ظهور **عبد الله بن إباض** ، وبين ابن وهب وابـــن إباض أئمة ودعاة للمذهب سوف نذكرهم في موضعه ، أما ما يـــهمنا الآن

(٢٣) ابن قتيبة الإمامة والسياسة ٣ ص١٢١.
(٢٤) الطبري ــ تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٤٢.
(٢٥) عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية ص٨٩.

هو ذكر المواجهة التي تمت بين **علي بن أبي طالب** ﷺ وشيعته وبين عبد الله بن وهب ومن التف حوله حيث كانوا أربعة آلاف ، " فبقي مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة ، فرجعوا إلى علي ، وكان علي قد قال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدءوكم ، فتنادوا الرواح إلى الجنة وحملوا على الناس فافترقت خيل علي فرقتين : فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا أن أناموهم ، فلما رأى **حمزة بن سنان** الهلاك نادى أصحابه أن انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا أن حمل عليهم **الأسود بن قيس المرادي** وجاءتهم الخيل من نحو علي فأهلكوا في ساعة فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا . " (٢٦)

فهذه المعركة (النهروان) لم تكن في حسبان **علي بن أبي طالب** ﷺ ولكنه اضطر لخوضها ، فمات من مات ونجا من نجا ، لكن الموت كان في صف ابن وهب كثير للغاية لدرجة أن الكتب تؤرخ أنه لم ينج منهم سوى أقل من عشرة ولم يقتل من شيعة علي ﷺ سوى أقل من عشرة فحزن علي ﷺ حزناً شديداً على ما وصل إليه حال المسلمين ، لكنه كما ذكرنا كان مضطراً لخوض هذه المعركة ، أما من حوله من الذين يحرضون الإمام ــ بطريقة شيطانية ــ على محاربة هؤلاء الجمع الذين خرجوا على إمارة الإمام **علي** ، **فيرى الطبري** :-

" إن علياً كان متجهاً لحرب معاوية بالشام لكن بعض أصحاب علي ﷺ وعلى رأسهم **الأشعث بن قيس** هم الذين اضطروا علياً إلى تغيير خطته والاتجاه إلى جماعة النهروان ." (٢٧)

---

(٢٦) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج٣ ص١٧٤.
(٢٧) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٤٧ بتصرف .

هذا من جهة ومن جهة أخرى نقول إنه ربما يكون الإمام علي فضّل أن يؤمّن ظهره من هؤلاء الخارجين عليه حتى يفرغ لهؤلاء المحاربين له في الشام وعلى رأسهم معاوية ، لكننا نرجح الرأي الأول من أن **الأشعث بن قيس** كان له دور خطير وكبير في التحريض لخوض هذه المعركة حيث يكثر المؤرخون في الحديث عن دور **الأشعث بن قيس** وأنه كان وراء كل ما حاق بجيش علي ﷺ ، فقد كان وراء قبول علي للتحكيم ، وكان هو الداعي لاختيار **أبي موسى الأشعري** ﷺ دون **ابن عباس** ﷺ كأحد الحكمين ، كما أنه كان على رأس الداعين للخروج على جماعة النهروان وبدئهم بالحرب ، كذلك فهو الذي خذل الجيش وأشاع فيه الوهن عقب واقعة النهروان فلم يتمكن علي من التوجه بجيشه إلى معاوية . (٢٨)

وأياً ما كانت الدوافع وراء معركة النهروان إلا أنها كانت صورة مفجعة ومحزنة في تاريخ المسلمين لدرجة أن بعض الكتب تذكر أن عدد الرجال الذين كانوا وراء ابن وهب اثني عشر ألف رجل قتلوا جميعاً إلا أقل من عشرة .

ذكر ذلك الشهرستاني في الملل حيث قال :-

(وكانوا يومئذ اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام ــ أعني يوم النهروان ــ ثم قال : وإنما خروجهم في الزمن الأول على أمرين :-

أحدهما : بدعتهم في الإمامة إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش ؛ ولذلك بعثوا **عبد الله بن وهب الراسبي** أمير المؤمنين وهو لا ينسب للقرشيين .

(٢٨) ابن أبي الحديد ــ نهج البلاغة ص٩٧.

البدعة الثانية :- أنهم قالوا : أخطأ علي في التحكيم إذ حكم الرجال ولا حكم إلا لله ، وقد كذبوا على الإمام علي من وجهين :-

أحدهما : أنه حكم الرجال ، وليس ذلك صدقاً ؛ لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم .

والثاني :- أن تحكيم الرجال جائز فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال ، ولهذا قال علي : كلمة حق أريد بها باطل ، وتخطوا عن هذه التخطئة إلى التكفير ولعنوا علياً فما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فقاتل الناكثين واغتنم أموالهم وما سبي ذراريهم ونساءهم ، وقاتل القاسطين وما اغتنم ولا سبى وقاتل المارقين واغتنم أموالهم وسبى ذراريهم، وطعنوا في عثمان ﷺ للأحداث التي عدوها عليه ، وطعنوا في أصحاب الجمل وصفين ، فقاتلهم علي بالنهروان مقاتلة شديدة فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة." (٢٩)

ورغم ذلك كله إلا أن أمير المؤمنين علي كان حزيناً على ما يحدث وما حدث من قتل هؤلاء الجمع ، فتروي بعض المصادر الإباضية :" أن علياً لما قتل أهل النهروان أمر بعباهم فجمعت فإذا مصاحف وقراطيس ، فذكروا أنه أصيب في عسكرهم أربعة آلاف مصحف إلا مصحفاً فبكى علي حتى كادت نفسه تخرج ، ويُقال إنه دخل على ابنته أم كلثوم فهنأته بالظفر بهم ، فقال علي: أصبح أبوك من أهل النار إن لم يرحمه الله."(٣٠)

وذكر القلهاتي وهو من كتاب الإباضية :" إن علياً بعد أن قتلهم جعل يمر عليهم وهو يستغفر لهم ويقول : بئس ما صنعنا قتلنا خيارنا وفقهاءنا ،

(٢٩) الشهرستاني الملل والنحل ج١ ص١١٥ و١١٦ باختصار .
(٣٠) الحارثي العقود النقية ط١ دار اليقظة ص٨٠ .

فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين قتلنا المشركين ؟ قال : من الشرك فروا ، قالوا : أمن المنافقين ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيراً . (٣١)

فهذه روايات ذكرتها الإباضية في كتبهم ومغزاها أن علياً كان مغتماً حزيناً لصنيعه بأهل النهروان ، ولكن لعمري ألا يكون العدد الذي ذكر في النص أربعة آلاف مصحف إلا مصحف أتراه مبالغ فيه ؟ وهل يعقل أن هذا الكم من المصاحف قد كتب في عصر الخليفة الرابع **علي ابن أبي طالب** ﷺ وبالأمس القريب كان هناك مصحف واحد فقط في بيت السيدة **حفصة بنت عمر بن الخطاب** ﷺ وقد نسخ منه أربع نسخ وزعت على الأمصار في عهد **الخليفة الثالث عثمان بن عفان** ﷺ وبمجرد مجيء الخليفة الرابع يكون هناك هذا الكم الهائل من النسخ بين أيدي هؤلاء الجماعة ، اعتقد أن ما ذكر في هذا النص مبالغ فيه .

ثم هناك وقفة أمام ما ذكره **الشهرستاني** في **الملل والنحل** من ذكر حديث النبي ﷺ من وصف أهل المحكمة الذين قتلوا في النهروان على يد الإمام علي ، حيث قال ﷺ : " **تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم وصوم أحدكم في جنب صيامهم ، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم** "

فهم المارقة الذين قال فيهم ﷺ :" **سيخرج من ضئضى هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** "

وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية . (٣٢)

---

(٣١) الظهاني الكشف والبيان ص٢٥٢.

(٣٢) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١١٦ ، وسيأتي تخريج الحديث بعد قليل .

وهذا الحديث قد ذكر في كتب الصحاح ومتفق عليه بين البخاري ومسلم ــ رضى الله عنهما ــ ونذكر النص للبخاري حيث ذكر في صحيحه عن سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري ﷺ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه **ذو الخويصرة** ــ وهو رجل من بني تميم ــ قال : **يا رسول الله اعدل** ، فقال : **ويلك ومن يعدل إذا لم اعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن اعدل** ، فقال عمر: **يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه** ، فقال : **دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيها شئ ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه ــ وهو قدحه ــ فلا يوجد فيها شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيها شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضدية مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر ، ويخرجون على حين فرقة من الناس** "

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول ﷺ وأشهد أن **على بن أبي طالب** ﷺ قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حيث نظرت إليه على نعت النبي ﷺ نعته .(٣٣)

فهذا نص النبي ﷺ ولا يخفى على عاقل أن مكانة علي ﷺ العلمية تجعله ينسى هذا الحديث وما قيل في حق هؤلاء فيأسف الإمام علي ﷺ عليهم

(٣٣) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة في الإسلام ط دار إحياء الكتب ج٢ ص٢٨١.
وابن حجر فتح الباري كتاب المناقب باب علامات البنوة في الإسلام ــ طبعة الريان ج ٣ ص ٧١٤ رقم الحديث ٣٦١٠ .
مسلم صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وفسادهم ــ طبعة الريان رقم١٠٦٤.

باكيا قائلا لابنته أنه أصبح من أهل النار لما وجد في أمتعتهم من مصاحف بعددهم وهناك رواية رواها الإمام على بنفسه ، **وذكرها الإمام البخاري في صحيحه** حيث قال :- حدثنا ابن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال : قال علي ﷺ : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :- **يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة .**(٣٤)

فرغم أنهم كانوا يذكرون الله كثيرا ويقرؤون القرآن ليل نهار ويقومون بالليل تهجدا ويصومون النهار تعبدا إلا أن ذلك كله لم ينفعهم لما اعتقدوه من كفر علي وما اعتقدوه في الحكمين ، وها هو نص النبي ﷺ واضحا جليا من أن عبادتهم لا تتجاوز تراقيهم وهى العظمة التي بين النحر والعنق أو لا تتجاور حناجرهم .

أما ما تبقى منهم في معركة النهروان ومن على شاكلتهم من اعتناق مبادئهم كانوا حاقدين على علي وشيعته إلى درجة انهم فكروا بأن يترجموا هذا الحقد إلى أفعال عملية يترتب عليها إزهاق روح بدون وجه حق ، فدبروا القتل لعلى ومعاوية ولعمرو بن العاص وصمموا وتعاهدوا على ذلك .

(٣٤) أخرجه البخاري صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة في الإسلام ج٢ص٢٨١ .

ذكر ابن الأثير في الكامل : " إن سبب قتله أن **عبد الرحمن بن ملجم بن عبد الله التيمي الصريني** وقيل : اسم البرك الحجاج ، **وعمرو بن بكر التميمي السعدي** ، وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ، ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة أرحنا منهم البلاد ؟ فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم عليا ــ وكان من أهل مصر ــ وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا ــ وتواثقوا الله ــ أن لا ينكص أحدكم عن صاحبة الذي توجه الرمية حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة (تخلوا) من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد، فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ، ورأى يوما أصحابا له من تميم الرباب وكان علي قد قتل منهم يوم النهروان عدة فتذاكروا قتلى النهر . (٣٥)

وهكذا ازداد حقد هؤلاء الثلاثة الذين عزموا النية على قتل علي ومعاوية وعمرو ، وكان أولهم عبد الرحمن بن ملجم والذي نجح في مهمته دون صاحبيه ، فعندما قدم ابن الملجم إلى الكوفة ، وكتم أمره ، وتزوج امرأة من المحكمة كان أخوها في حرب المحكمة أنفسهم ، وتزوجها على أن تقتل علياً ــ كما روى ابن ملجم نفسه أنه فقد كثيراً من أهله في معركة النهروان ، فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيها خرج ابن ملجم فقعد لعلي حين صلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة ، ليلة عشر بقيت

(٣٥) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ج٣ص١٩٥ .

من رمضان سنة أربعين ... فلما خرج للصلاة وثب عليه قال : الحكم لله لا لك يا علي ، وضربه على رأسه بالسيف ، فقال علي : فزت ورب الكعبة ، ثم قال : لا يفوتنكم الرجل ، فشدوا عليه فأخذوه .(٣٦)

وظنت الإباضية أن بقتلهم علي ﷺ ستهنأ لهم الدنيا ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فاستشهد علي وكتبت له الجنة بإذن الله ، أما هم فقد باءوا بكبيرة إلى جانب تكفيرهم الناس وعلى رأسهم **علي بن أبي طالب** ﷺ ، قال الحسن بن كثير عن أبيه قال : خرج علي من الفجر أقبل الإوز يصحن في جهة فطردهن عنه فقال : ذروهن فإنهن نوائح ، فضربه ابن ملجم في ليلته ، وقال الحسن بن علي يوم قتل علي: البارحة وأبي يصلي في مسجد داره فقال لي : يا بني إني بت أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر فملكتني عيناني فنمت فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟

قال : والأود العوج واللدد الخصومات ، فقال لي : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني ، فجاء ابن الثباج فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله وكان ﷺ إذا رأى ابن ملجم : أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك مراد .(٣٧)

ونسي هذا القاتل فضل الإمام علي ﷺ في الإسلام ومناقبه التي لا تنسى منذ أن أسلم على يد النبي ﷺ ، فهو أول صبي في الإسلام ، وقد

(٣٦) الطبرى ــ تاريخ الأمم والملوك ج٦ص٨٥ بتصرف وتلخيص.
(٣٧) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ص١٩٥.

كرم وجهه لأنه لم يسجد لصنم قط ، وإذا تداركنا مناقبه فإننا لا ننسى شجاعته في إبقائه في فرش النبي ﷺ ليلة الهجرة ورغم ما حدث له من قاتله إلا انه استخدم معه الحوار الهادئ الذي فيه وصيه بعدم التنكيل به ، وعدم اخذ أهله وأقاربه بصنيعه فعندما ضُرب على من ابن ملجم قال علي : احضروا الرجل عندي فأدخل عليه ، فقال : أي عدو الله ألم احسن إليك ؟ قال : بلى ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال على : لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : النفس بالنفس ، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي ، يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون : قد قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يقتلن إلا قاتلي ، انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربه بضربة ، ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور** " .

هذا كله وابن ملجم مكتوف فقالت له أم كلثوم ابنة علي : أي عدو الله لا بأس على أبي والله مخزيك ، قال : فعلى من تبكين ؟ والله إن سيفي اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقى منهم أحد . " (٣٨)

(٣٨) المرجع السابق ص١٩٦

أحوال الإباضية بعد مقتل علي .

حرصت الإباضية على أن تجعل مقتل على حالة فردية قام بها أحد المتطرفين منهم ، فلا يعني مقتل علي أو قتل المسلمين على يد الخوارج أن الإباضية منهم أو كانت موافقة لما يحدث من سفك دماء المسلمين مرات ومرات على يد الخوارج ، فذكرت الإباضية أنه لم يكن لهذه الجماعة المحكمة قائد يجمعهم على رأي واحد ويوجه جهودهم ويحدد خطواتهم ، ولكن تفرقوا وانقسمت صفوفهم وآرائهم ، فكان منهم المتشدد المتطرف الذي أدرجوه تحت مسمى الخوارج ، ومنهم الذين قالوا عنهم إنهم معتدلون دعاة حق سموا بالإباضية ونُسبوا لعبد الله بن إباض ، أما قبل ظهور **عبد الله بن إباض** فكان هناك دعاة كان منهم **عبد الله بن وهب الراسبى وحرقوص ابن زهير** وقد قُتلا **بالنهروان** وتولى أمر الجماعة الإباضية ــ قبل تسميتها بهذا الاسم ــ **أبو بلال مرداس بن حدير** أحد بني ربيعه بن حنظلة بن مالك بن زيد بنى تميم مناة وادية جدته ، وقيل أمه ، وقيل ليس جدير ولكن جدير.

" كان أبو بلال من خيرة المسلمين ، بلغ في الورع والديانة والعلم والصيانة الأمد الأقصى . " [٣٩]

فهذه مكانته عند الإباضية ، ثم يؤصلون تلك المكانة بتواجده بشيعة علي بن أبي طالب ﷺ وقتاله في معركة صفين ثم بعد ذلك لم يرتض حكم الحكمين فأصبح من جماعة المحكمة وصارت له مكانة عالية في وسطهم.

---

[٣٩] الحارثي ــ العقود الفضية ص١٠٧وص٢١٤ .

قال **الدارجيني** : " وكان ممن شهدوا مع **الإمام علي بن أبي طالب** ﷺ واقعة **صفين** وحارب في صفوفه وأبلى بلاء حسناً .. إلى أن كان التحكيم أنكره البعض لما رأوا فيه من مخالفة وجه الحق ، فكان أبو بلال ــ وأخوه عروة ــ ممن أنكروا بشدة وكان من الذين نجوا من القتل ، وإن أول سيف سل للمحكمة كان سيف عروة بن أدية ، وذلك أن **الأشعث بن قيس** لما جاء بصحيفة دعوة أهل الشام في صفين إلى الحكمين جعل الأشعث يطوف بها في منازل أهل عسكر العراق من منزل إلى منزل ، حتى أتى بنى تميم ، فسل عروة سيفه ، وأقبل على الأشعث فقال : ما هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم ؟ أشرط أوثق من شرط الله ؟ ثم ضربه بالسيف والأشعث مولى فأصاب بالسيف عجز البغلة ، فشبت البغلة ، فنفرت اليمانية ، وكانوا جل أهل العسكر فلما رأى **الأحنف بن قيس** (زعيم بنى تميم) قصد هو وآخرون إلى الأشعث فسألوه الصفح ففعل (٤٠)

ثم جاء من بعده **عمران بن حطان** ، ذكرت عنه كتبهم : " لقد كان عمران ابن حطان السدوسي من الشخصيات البارزة والمهمة ، وكان شاعراً ومحدثاً ، وعالماً وفقيهاً ، ويصفه مؤرخو الإباضية بأنه من الشراة ، وهو النهاية في الورع واطراح الدنيا كل الاطراح لما خصه الله ﷻ من فنون العلم والنزاهة والحلم وشهامة الجنان وفصاحة اللسان ، وقد نشط عمران ابن حطان في الدعاية ضد الحكم الأموي ومعارضته له ، وكان في دعايته ــ وهو الشاعر الفحل ــ شديد المراس ، مثير للمتاعب ، حتى لقد

(٤٠) الدارجيني ــ الطبقات ص٢١٤.

أفزع أمره **الحجاج بن يوسف** فجعل يطارد عمران وهو يتنقل بين القبائل، فكان إذا نزل في حي انتسب نسباً يقرب منه .[٤١]

ثم جاء بعد أبي بلال وعمران **جابر بن زيد** ، وتروي الكتب الإباضية أن جابراً كان له دور هام وخطير في سير الحركة الإباضية ، حيث وجه مسارها إلى التقية والاختفاء عن أعين بني أمية ، حيث كانوا يبطشون بهم ، قال **الدكتور صالح بن أحمد الصوافي** ــ وهو من الإباضية ــ :

" وإذا كان **جابر بن زيد** لم يُعرف ــ في تلك الفترة ــ على أنه له علاقة بتلك الجماعة ــ فضلاً عن توليه زعامتها ــ فإن واقع الأمر أنه هو الزعيم لمذهبها المحدد الأسلوب ، بل لعله كان صاحب الرأي في اختيار التقية ، وبصفة خاصة لأن هذا المذهب يقوم في أساسه على الاعتدال ، وتجنب العنف وعدم التعرض لسائر المسلمين وعدم تكفير من لم يذهب مذهبهم ، وبذلك يكون من الميسور أن يخفي أمره ، وألا يجعل لمن هم عدا أفراد جماعته سبيلاً لمعرفة حقيقة صلته بهم ، مع أن الثابت أن **جابر بن زيد** كان وراء كل ما قام به أبو بلال ، وأن هذا الأخير لم يكن ليمضي لأمر إلا بمشورة جابر .[٤٢]

من هذا النص نخلص إلى نقاط تحدد ملامح فرقة الإباضية وهي :

أولاً : أن **جابر بن زيد** يُعد زعيم فرقة الإباضية ولكنه كان يفضل عدم ظهوره وإظهار غيره ليتحدث بما يدبره ويعتقده .

---

(٤١) الدرجيني : طبقات المشايخ ص٢٢٧.

(٤٢) الدكتور / صالح بن أحمد الصوافي ــ الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة ص١٤٨ ج١ سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة ص١٤٨.

ثانياً : أن جابر بن زيد آثر الاختفاء والتقية عن يد حكام بني أمية حيث التفكير الهادئ المنظم لحركة الجماعة دون إظهاره أو التحدث بلسان العلن حتى لا يُضطهد ويبقى للجماعة عقلها المدبر .

ثالثاً : أن الفضل لا يرجع إلى أبي بلال وعمران في تنظيم حركة الإباضية ، بل إن الفضل كله ينسبه الدكتور صالح إلى جابر بن زيد في تنظيم الحركة الإباضية وتقنينها ، إلى درجة أنه يستبعد أيضاً فضل **عبد ابن إباض** الذي تنسب إليه الفرقة ويعتبره أنه مثل سابقيه كآلة يحركها عقل **جابر بن زيد** .

رابعاً : نسبوا إلى **جابر بن زيد** الفضل في العلم في مجال الفقه والحديث واتباع السلف في اعتدالهم وفهمهم عن النبي ﷺ .

" أقام **جابر بن زيد** بالبصرة ، وعرف فيها بالفقيه المحدث ، وكان أحد اثنين يلجأ إليهما البصريون ــ بخاصة ــ والعراقيون ــ بعامة ــ يطلبون منهم الرأي والفتوى في أمور دينهم ولم يشتهر عنه أن له صلة ما بتلك الجماعة التي عُرفت بالقعدة ثم بالإباضية .

وعرف الناس من أمر تلك الجماعة الكثير وعرفوا أن زعيمها هو أبو بلال ٠٠ فلما مات أبو بلال ، واشتدت السلطة الحاكمة على أفراد تلك الجماعة وولي أمرهم عمران بن حطان ، أقر جابر وآثرت جماعته أن يظل أمره مستوراً ، ولعل مرجع ذلك ما رأوه من عظم الخسارة فيما لو اشتهر أمر جابر وأخذوه بالشدة ، فإن ذلك يُفقد الجماعة عقلها المدبر ، وزعيمها الحقيقي ، وقد بالغ جابر في التخفي حتى لقد قدم سواه للتحدث باسم الجماعة ومناظرة خصومهم وكان **عبد الله بن إباض** أحد أولئك الذين تحدثوا كثيراً باسمهم ، حتى لقد ظن أنه هو الزعيم الحقيقي

للجماعة، فنسبها الآخرون إليه وعرفوها بأنها **جماعة الإباضية** ، مع أن **عبد الله بن إباض** لم يكن إلا واحداً من أفرادها قدمه زعيمها **جابر بن زيد** للتحدث عنهم ومناظرة خصومهم .(٤٣)

وجعلت الإباضية **جابر بن زيد** في مكانة رفيعة إلى درجة أنهم يذكرون رواية عن **ابن عباس** ﷺ مغزاها أن ابن عباس قال في حق جابر :

" عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وفيهم جابر بن زيد . " (٤٤)

ولكن لماذا نُسبت هذه الجماعة إلى ابن إباض بالذات دون غيره ممن سبقوه كأبي بلال أو عمران أو جابر بن زيد ؟

وتجيبنا المراجع الإباضية إلى أن خصوم هذه الحركة هم الذين أطلقوا على هذه الجماعة اسم الإباضية ونسبوها إلى عبد الله بن إباض ، أما هذه الجماعة فكانوا يطلقون على أنفسهم مسمى **المحكمة أو القعدة أو جماعة المسلمين أو أهل الحق** ، يعنون بذلك أنهم على حق دون غيرهم ممن ارتضوا بالتحكيم وبحكم أبي موسى وعمرو ، هذا إلى جانب أن ابن إباض كان لسان هذه الجماعة فكان يتحدث باسمهم ويناظر خصومهم ، أما بالنسبة لجابر بن زيد فلا نستطيع أن نقول إن الجماعة تنسب إليه ؛ وهذا لأنه كان يفضل التخفي والتقية ، فالناس لا يعرفونه أنه منتسب لهذه الجماعة وأنه عقلها المدبر .

يقول عوض حليفات :- " إن المصادر الإباضية الأولى لم تشر إلى هذا الاسم إطلاقاً بل كانت تصفهم أنهم المسلمون أو جماعة المسلمين أو أهل الدعوة ." (٤٥)

---

(٤٣) صالح بن أحمد الصوافي ــ الإمام جابر بن زيد النعماني ص١٥٢.

(٤٤) السيابي ــ إزالة الوعثاء ص١٧ وانظر العقود الفضية ص٩٥.

(٤٥) د ٠عوض حليفات ــ نشأة الحركة الإباضية ص٨١.

وأن المصادر الإباضية وغيرها من مخالفيهم قد نسبوها إلى ابن إباض دون غيره ، حيث شهرته في إلجام خصومه ، وكان ابن إباض ينتمي إلى قبيلة تميم وعاش بالبصرة معظم حياته وكان معاصراً لجابر بن زيد ، وإن كان أصغر منه عمراً .(٤٦)

إلا انه تميز بعدة ميزات منها : " إمام أهل الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق ، فهو العمدة في الاعتقادات ، والمبين لطريق الاستدلالات والاعتمادات والمؤسس للأبنية وهى مستندات الأسلاف ، وكان رأس العقد ورئيس من في البصرة وغيرها من الأمصار ، والمتقدم في حلبة الفضل بين أولئك الأخيار ، قعد عن اللحاق فاشتراه من غير إنكار ، وقلى ما اعتقده ابن الأزرق في المحمدية ، وعدل عن طريق النجدية ، وسلك حجة العدل وكان قدوة لأهل الفضل فإليه النسبة اليوم في العقائد معدولاً بها عن اسم الوليد إلى اسم الوالد ، طلباً للتخفيف واختصاص الأشهر ، وذلك في الحق معروف لا ينكر .(٤٧)

ولذا سميت الجماعة باسم الإباضية دون غيرها مما لو انتسب إلى أحد الأئمة من قبله كما ذكرنا ذلك مسبقاً ، وذكرنا أن خصوم الإباضية هم الذين أطلقوا هذا الاسم لابن إباض دون غيره من أهل الحركة والجماعة، ورغم ذلك إلا أنهم ــ الإباضية ــ تقلل من شأن ابن إباض قليلاً في مكانته بالنسبة لسابقيه مثل جابر بن زيد بالتحديث حيث يقولون :-

"إن هناك حقيقتين مؤكدتين في هذا الشأن:

الأولى:- أن هذه الجماعة لم تُطلق على نفسها اسم " الإباضية " ، بل كانوا يسمون أنفسهم " **أهل الدعوة ، أو جماعة المسلمين** "

---

(٤٦) ابن قتيبة ــ المعارف ص٦٢٢ والكامل للمبرد ج٢ص٢٧٥.

(٤٧) الدارجيني ــ طبقات المشايخ ــ الجزء٢ص٢١٤.

الثانية : أن تسمية الإباضية إنما أطلقها على هذه الجماعة مخالفوهم في فترات تالية ، وربما كان الأمويون ـ كما يرى البعض ـ هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم ، " نسبة إلى عبد الله بن إباض ؛ لأن الأخير كان من علمائهم وشجعانهم والمناظر باسمهم ، كما أن الأمويين لا يريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر حتى لا يجذبوا إليه الأنظار ولا يبدو في حياة جابر المشرقة ، فتميل إليهم النفوس ، فنسبوهم إلى عبد الله بن إباض وهو أقل منزلة من جابر في العلم ، وإن كان لا يقل عنه في التقوى والورع والصلاح " (٤٨)

ونخلص مما سبق إلى أن عبد الله بن إباض كان أظهر وأشهر من تحدثوا عن هذه الجماعة ولذلك نُسبت الجماعة إليه ، أما التقليل من شأنه سواء في العلم أو المكانة الحركية بالتدبير والتخطيط الحركي فهذا لا يعنينا في كثير أو قليل .

ومن الجدير بالذكر أن الإباضية هي التي قالت إن **جابر بن زيد** هو الذي آثر التقية والاختفاء عن أيدي حكام بنى أمية ، ونحن بما اشتهر في المصادر والمراجع الأولى سواء أكانت إباضية أم غير ذلك ، ولا يعنينا فضل هذا على ذلك أو العكس ممن ذكروا عن جابر بن زيد وفضله على غيره من سابقيه أو لاحقيه ، ولكن يعنينا فرقة الإباضية التي تنسب إلى ما اشتهرت به من النسبة إليه وهو عبد الله بن إباض وهو : من بنى مرة بن عبيد بن تميم خرج في آخر دولة بني تميم . (٤٩)

---

(٤٨) محمد على دبوز ـ تاريخ المغرب الكبير ج٢ .

(٤٩) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج١ص١٣٤.

قالت عنه الإباضية : " كان ابن إباض المجاهد علناً ، المناضل في سبيل تحقيق الحقائق وتوضيح قضايا المعقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع من الزور والافتراء في شريعة ربنا ، وكان شديداً في الله تعالى ، وله مناظرات مع أهل التنطس والتفلسف ، كان الحجة الدامغة التي يخنس أمامها كل ثرثار ، وله كلام مع **عبد الله بن مروان** يهضم نفس كل جائر جبار ، تغلب على المسلمين أصحابه الذين يقولون بقوله : الإباضية وتسمّى المذهب باسمه على هذا المعنى . (٥٠)

فهذه هي مكانة عبد الله بن إباض زعيم الإباضية ومنشئها على الأشهر .

وسوف نذكر فرقهم ومدى صلتهم بفرقة الخوارج في موضعه بإذن الله تعالى .

فرق الإباضية .

لكي يمكننا تحديد مكانة الإباضية من جميع فرق الإسلام ينبغي علينا أن نحدد بالضبط منبع هذه الفرقة وإلى أي الفرق انقسمت ، وقد ذكر ذلك البغدادي في الفرق بين الفرق ، حيث أشار إلى أن الإباضية من فرق الخوارج ، وأنها انقسمت إلى أربع فرق ، منها ما هو معتدل ومنها ما هو متطرف في الرأي والاعتقاد بسبب قولهم في الدين بما ليس منه ، مثل فرقة اليزيدية .

قال البغدادى في الفرق بين الفرق : " أما الخوارج فإنها لما اختلفت صارت عشرين فرقة وهذه أسماؤها : المحكمة الأولى ، والأزارقة ، ثم النجدات ، ثم الصفرية ، ثم العجاردة ، وقد افترقت العجاردة فيما بينها

(٥٠) الشماخي ــ السير ص٢٢٧.

فرقاً كثيرة منها الخازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والحمزية والإبراهيمية والواقفة ، وافترقت الإباضية منها فرقاً حفصية وحارثية ويزيدية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها ، واليزيدية منهم أتباع ابن يزيد بن أنيس ليست من فرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم ، وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ليست من فرق الإسلام لأنها أباحت نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحته المجوس . " [٥١]

وأيضا ذكر ذلك الشهرستاني في الملل [٥٢] والاشعري في المقالات [٥٣] من أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج ، وأن عبد الله بن إباض كان مصاحباً لابن الأزرق وابن الصفار ونجدة بن عامر ٠

أول من بدء الخلاف بين الخوارج نافع بن الأزرق حيث أعلن البراءة لكل من لا يقصد عسكره وزاد على ذلك في تكفيره .

وبنى على ذلك أحكام شرعية منها عدم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا قبول شهادتهم ولا موارثتهم ، وأحل ذبح الأطفال واستعراض النساء وهذا ما شاهدناه وسمعنا عنه أخيراً في الجزائر ، وقد أخذ ابن إباض منه شرك المسلمين دون كفرهم وكذبه في الأحكام التي ذكرها وأحل دماء المسلمين فقط .

وقد تبرأ ابن الصفار من أبن الأزرق لغلوه فيما ذهب إليه وتبرأ أيضاً ابن الصفار من ابن إباض لما ذهب إليه من قول واعتقاد في المسلمين .

---

(٥١) عبد القاهر البغدادي ــ الفرق بين الفرق ص١٨.

(٥٢) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١١٤.

(٥٣) أبو الحسن الأشعري ــ مقالات الإسلاميين ص٨٦.

قال ابن الأثير في الكامل :-

" وتفرق القوم فأقبل **نافع بن الأزرق الحنظلي** ، **وعبد الله بن الصفار السعدي** ، **وعبد الله ابن إباض** ، **وحنضلة بن نيهس** ، **وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع** ، وكلهم من تميم حتى أتو البصرة ، وانطلق **أبو طالوت من بنى بكر بن وائل** ، **وأبو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة** ، **وعطية بن الأسود اليشكري** إلى اليمامة فوثبوا بها مع أبى طالوت ، ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفي وتركوا أبا طالوت ، فأما نافع وأصحابه فإنهم قدموا البصرة وهم على رأي أبى بلال واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد ، فخرج نافع على ثلاثمائة وذلك عند وثوب الناس بابن زياد ، وكسر الخوارج باب السجن وخرجوا ، واشتغل الناس عنهم بحرب الأزد وربيعة وتميم ، فلما خرج نافع تبعوه وأصطلح أهل البصرة على **عبد الله بن الحرث** فتجرد الناس للخوارج وأخافوهم ، فلحق نافع بالأهواز في شوال سنة أربع وستين وخرج من بقي منهم بالبصرة إلى ابن الأزرق إلا من لم يرد الخروج يومه ذلك منهم **عبد الله بن الصفار** **وعبد الله بن إباض** ورجال معهما على رأيهما ، ونظر نافع فرأى أن ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له وأن من تخلف عنه لا نجاة له ، فقال لأصحابه ذلك ودعاهم إلى البراءة منهم وأنهم لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم ، ولا يحل ميراثهم ، ورأى قتل الأطفال والاستعراض ، وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل فأجابه إلى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم ، وممن فارقه **نجدة بن عامر** وسار إلى اليمامة فأطاعه الخوارج الذين بها وتركوا أبا طالوت ، فكتب نافع إلى ابن